

وأما النوع الثاني، وهو إيصال الباري جميع الأقوات التي تتغذي بها المخلوقات برها وفاجرها المكلفون وغيرهم فهذا قد يكون من الحرام كما يكون من الحلال، وهذا فصل النزاع في مسألة هل الحرام يسمى رزقاً أم لا، فإن أريد النوع الأول وهو الرزق المطلق الذي لا تبعه فيه فلا يدخل فيه الحرام فإن العبد إذا سأل ربه أن يرزقه فلا يريد به إلا الرزق النافع في الدين، والبدن وهو النوع الأول، وإن أريد به مطلق الرزق - وهو النوع الثاني - فهو داخل فيه، فما من دابة على الأرض إلا على الله رزقها. ومثل هذا يقال في النعمة والرحمة ونحوها "١".

٣٨ - الرشيد ٢:

قال رحمه الله تعالى:

"وهو الرشيد الذي أقواله رشد، وأفعاله رشد، وهو مرشد الحائرين في الطريق الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيرشد الخلق بما شرعه على السنة رسله من الهداية الكاملة، ويرشد عبده المؤمن، إذا خضع له وأخلص عمله أرشده إلى جميع مصالحه، ويسره لليسرى وجنبه العسرى ٣ والرشد الدال عليه اسم الرشيد وصفه تعالى والإرشاد لعباده. فأقواله القدريّة التي يوجد بها الأشياء ويدبر بها الأمور كلها حق لاشتمالها على الحكمة، والحسن، والإتقان وأقواله الشرعية الدينية وهي: أقواله التي تكلم بها في كتبه، وعلى السنة رسله المشتملة على الصدق التام في الأخبار، والعدل الكامل في الأمر، والنهي فإنه لا أصدق من الله قبيلاً ولا أحسن منه حديثاً {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} ٤ في الأمر والنهي".

١ توضيح الكافية الشافية (ص ١٢٨ و ١٢٩) وانظر أيضاً: الحق الواضح المبين (ص ٨٥) والتفسير (٥/ ٦٢٦).

٢ أورد المؤلف رحمه الله تعالى هذا الاسم ضمن أسماء الله ولكنه يفتقر إلى دليل يدل على تسمية الله تعالى به.

٣ توضيح الكافية الشافية (ص ١٢٧).

٤ الأنعام (١١٥).

وهي أعظم وأجل ما يرشد بها العباد بل لا حصول إلى الرشاد بغيرها فمن ابتغى الهدى من غيرها أضله الله، ومن لم يسترشد بها فليس برشيد فيحصل بها الرشد العلمي وهو بيان الحقائق والأصول، والفروع والمصالح والمضار، الدينية والدينية، ويحصل بها الرشد العملي فإنها تزكي النفوس، وتطهر القلوب، وتدعو إلى أصلح الأعمال، وأحسن الأخلاق، وتحث على كل جميل، وترهب عن كل ذميم رذيل، فمن استرشد بها فهو المهتدي ومن لم يسترشد بها فهو ضال، ولم يجعل لأحد عليه حجة بعد بعثته للرسول وإنزاله الكتب المشتملة على الهدى المطلق، فكم بفضل هدى ضالاً وأرشد حائراً، وخصوصاً من تعلق به وطلب منه الهدى من صميم قلبه، وعلم أنه المنفرد بالهداية "١".

الرفيق، الرقيب، الستار، الستير، السلام، القدوس، السلام

٣٩ - الرفيق:

قال رحمه الله تعالى: "ومن أسمائه" الرفيق "في أفعاله وشرعه، وهذا قد أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف" ٢.

فإن الله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة ٣.

ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئاً بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار إتباعاً لسنن الله في الكون وإتباعاً لنبيه صلى الله عليه وسلم.

١ الحق الواضح المبين (ص ٧٨ و ٧٩) والتفسير (٥ / ٦٣١) .

٢ أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤) كتاب البر والصلة باب فضل الرفق من حديث عائشة رضي الله عنها بنحوه.

٣ الحق الواضح المبين (ص ٦٣) .

فإن كان هذا هديه وطريقه نيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس ونهيم وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين، وكذلك من آذاه الخلق بالأقوال البشعة وصان لسانه عن مشائمتهم، ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمقابلتهم بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الراحة، والطمأنينة والرزانة والحلم.

ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق وشرع الأحكام شيئاً بعد شيء وجريانها على وجه السعة واليسر ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة إذ خلق الخلق أطواراً، ونقلهم من حالة إلى أخرى بحكم واسرار لا تحيط بها العقول.

والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رقيقاً في أموره متأنياً، ومع ذلك لا يفوت الفرص إذا سنحت، ولا يهملها إذا عرضت "١".

٤٠ - الرقيب: (الرقيب الشهيد)

قال رحمه الله: "الرقيب والشهيد من أسمائه الحسنی وهما مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليلة والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحق، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان"٢.

والرقيب المطلع على ما أكتته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير"٣.

١ توضیح الكافية الشافية (ص ١٢٣) .

٢ الحق الواضح المبين (ص ٥٨) .

٣ التفسير (٥ / ٦٢٥) .

قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ١ {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ٢ ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التبعّد لله باسمه الرقيب الشهيد، ففتى علم العبد أن حركاته الظاهرة، والباطنة قد أحاط الله بعلها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر، وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله وتعبّد بمقام الإحسان فعبّد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه "٣".

٤١ - ٤٢ - (الستار- الستير)

٤٣ - السلام: (القدوس- السلام)

قال رحمه الله تعالى: "ومن أسمائه القدوس السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المنزه عن جميع العيوب، والمنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ٦ {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} ٧ {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} ٨ {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} ٩ فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه،

١ النساء (١) .

٢ المجادلة (٦) .

٣ الحق الواضح المبين (ص ٥٨ - ٥٩) وانظر: توضيح الكافية الشافية (ص ١٢٢) .

٤ سبق الكلام على هذين الإسمين مع اسمه سبحانه "الحي" .

٥ ودليل هذا الاسم قال الله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ...} (الحشر: ٢٣) .

٦ الشورى (١١) .

٧ الإخلاص (٤) .

٨ مريم (٦٥) .

٩ البقرة (٢٢) .

ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان ومن كل ما ينافي كماله. فهذا ضابط ما ينزه عنه، ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثل أو شبيه أو كفو أو سمي أو ند أو مضاد، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكل الصفات وأعظمها وأوسعها.

ومن تمام تنزيهه عن ذلك إثبات صفات الكبرياء والعظمة له فإن التنزيه مراد لغيره ومقصود به حفظ كماله عن الظنون السيئة كظن الجاهلية الذين يظنون به ظن السوء، ظن غير ما يليق بجلاله وإذا قال العبد مثنياً على ربه "سبحان الله" أو "تقدس الله" أو "تعالى الله" ونحوها كان مثنياً عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال "٠٢".

السميع، الشاكر، الشكور، الشهيد، الصبور

٤٤ - السميع ٣:

قال رحمه الله تعالى: "ومن أسمائه الحسنی السميع الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية البعيد عنده قريب ٤".

١ التفسير (٥ / ٦٢٣) .

٢ الحق الواضح المبين (ص ٨١ و ٨٢) وانظر: توضيح الكافية الشافية (ص ١٢٧) .

٣ سبق زيادة إيضاح لهذا الاسم مع اسمه تعالى البصير.

٤ توضيح الكافية الشافية (ص ١١٨) .

وسمعه تعالى نوعان:

أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، واحاطته التامة بها.

والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدین فيصيبهم ويثيبهم،

ومنه قوله تعالى: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} ١ وقول المصلي سمع الله لمن حمده أي استجاب "٠٣".

٤٥ - ٤٦ - (الشاكِر - الشكور)

قال رحمه الله تعالى: "ومن أسمائه تعالى الشاكر الشكور وهو الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل ولا يضيع أجر من أحسن عملاً بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة بغير عد ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل، وليس عليه حق واجب بمقتضى أعمال العباد وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه كرمًا منه وجوداً، والله لا يضيع أجر العاملين به إذا أحسنوا في أعمالهم وخلصوها لله تعالى ٥".

فإذا قام عبده بأوامره، وامتل طاعته أعانه على ذلك، وأثنى عليه، ومدحه، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطاً وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق. ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً موفوراً، لم تنقصه هذه الأمور. ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه،

١ إبراهيم (٣٩) .

٢ الحق الواضح المبين (ص ٣٥) انظر: التفسير (٥ / ٦٢٢) .

٣ ودليل هذا الاسم قال الله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} (النساء: ١٤٧) .

٤ ودليل هذا الاسم قال سبحانه: {إِنَّ تَقْرِيضًا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (التغابن: ١٧) .

٥ توضيح الكافية الشافية (ص ١٢٥ - ١٢٦) الحق الواضح المبين (ص ٧٠) .

ومن تقرب منه شبراً تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة،
ومن عامله ربح عليه أضعافاً مضاعفة "٠١"

٤٧ - الشهيد ٢ ٣:

قال رحمه الله تعالى: "الشهيد أي: المطلع على جميع الأشياء سمع جميع الأصوات خفيها، وجليها وأبصر جميع
الموجودات دقيقها، وجليها صغيرها، وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده، وعلى عباده بما
عملوه" ٠٤

٤٨ - الصبور ٥:

قال رحمه الله تعالى:

"الصبور مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله،
يجعلون له الولد وهو يعافهم ويرزقهم" ٠٦"

وبما ثبت أيضاً في الصحيح قال الله تعالى: "كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتني ابن آدم ولم يكن له ذلك،
فأما تكذيبه إياي فقله: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقله:
إن لي ولداً وأنا الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد" ٧

١ التفسير (١/ ١٨٥ و ٥/ ٦٣٠) .

٢ ودليل هذا الاسم قال الله تعالى: {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المجادلة: ٦) .

٣ سبق زيادة إيضاح لهذا الاسم مع اسم الله الرقيب .

٤ التفسير (٥/ ٦٢٨) انظر: الحق الواضح المبين (ص ٥٨) وتوضيح الكافية الشافية (ص ١٢٢) .

٥ وصف الله عز وجل بالصبور ثابت كما في حديث أبي موسى وسيأتي في الشرح .

أما اسم الصبور، فلم أقف على نص يدل على ثبوت هذا الاسم لله تعالى، والله أعلم .

٦ أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٠) كتاب صفات المنافقين باب لأحد أصبر على أذى من الله عز وجل من حديث أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه .

٧ أخرجه البخاري (٤/ ٧٣) كتاب بدء الخلق باب ماجاء في قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ} من حديث أبي هريرة بنحوه .

وأخرجه النسائي (٤/ ١١٢) كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين من حديث أبي هريرة .

والله تعالى يدر على عباده الأرزاق المطيع منهم، والعاصي، والعصاة لا يزالون في محاربتة، وتكذيبه، وتكذيب رسله، والسعي في اطفاء دينه، والله تعالى حلِيم صبور على ما يقولون، وما يفعلون، يتتبعون في الشرور وهو يتابع عليهم النعم، وصبره أكل صبر، لأنه عن كمال قدره وكال غنى عن الخلق وكال رحمه وإحسان، فتبارك الرب الرحيم الذي ليس كمثل شئ الصبور الذي يحب الصابرين ويعينهم في كل أمرهم "٠١".

الصمد، الضار، الظاهر، العدل، العزيز

٤٩ - الصمد: ٢:

قال رحمه الله تعالى: "الصمد: أي الرب الكامل والسيد، العظيم، الذي لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها، وكلها بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبر عنها ألسنتهم وهو المصمود إليه، المقصود في جميع الحوائج والنوائب {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} ٠٣".

فهو الغني بذاته، وجميع الكائنات فقيرة إليه بذاتهم: في إيجادهم، وأعدادهم، وإمدادهم بكل ما هم محتاجون إليه من جميع الوجوه ليس لأحد منها غنى مثقال ذرة، في كل حالة من أحوالها.٤.

١ الحق الواضح المبين (ص ٥٧ - ٥٨) وتوضيح الكافية الشافية (ص ١٢١) والفتاوى السعدية (ص ٢٩) .

٢ ودليل هذا الاسم قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} (الإخلاص: ١، ٢) .

٣ الرحمن (٢٩) .

٤ انظر بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص ١٦٥ و ١٦٦) .

والصمد: هو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها وأحوالها وضروراتها لما له من الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأسمائه وأفعاله ٠١.

والصمد المغني الجامع الذي يدخل فيه كل مفسر به هذا الاسم الكريم، فهو الصمد الذي تصمد إليه أي: تقصده جميع المخلوقات بالذل والحاجة والافتقار.

ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كمل بعلمه وحكمته وحلمه، وقدرته، وعظمته ورحمته وسائر أوصافه "٠٢".

٥٠ - ٥١ - الضار: (النافع الضار)

قال رحمه الله تعالى: "من أسمائه الحسنی ما يؤتی به مفرداً ويؤتی به مقروناً مع غيره وهو أكثر الأسماء الحسنی، فيدل ذلك على أن لله كمالاً من أفراد كل من الاسمين فأكثر وكمال من اجتماعهما أو اجتماعها".

ومن أسمائه مالا يؤتی به إلا مع مقابلة الاسم الآخر لأن الكمال الحقيقي تمامه وكماله من اجتماعهما، وذلك مثل هذه الأسماء وهي متعلقة بأفعاله الصادرة عن إرادته النافذة وقدرته الكاملة وحكمته الشاملة فهو تعالى النافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدينية والدينية، الضار لمن فعل الأسباب التي توجب ذلك، وكل هذا تبع لحكمته وسننه الكونية وللأسباب التي جعلها موصلة إلى مسبباتها، فإن الله تعالى جعل مقاصد للخلق وأموراً محبوبة في الدين، والدنيا، وجعل لها أسباباً، وطرقاً، وأمر بسلوكها ويسرها لعباده غاية التيسير،

١ التفسير (٥ / ٦٢١) .

٢ الحق الواضح المبين (ص ٧٥) والتفسير (٧ / ٦٨٤) وتوضيح الكافية (ص ١٢٦) .

٣ لم أقف على دليل صحيح يدل على اسمية هذين الاسمين لله تعالى، والله أعلم.

فمن سلكها أوصلته إلى المقصود النافع، ومن تركها أو ترك بعضها أو فوت كمالها أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال المطلوب فلا يلومن إلا نفسه وليس له حجة على الله، فإن الله أعطاه السمع، والبصر، والفؤاد، والقوة، والقدرة، وهذه النجدين وبين له الأسباب، والمسببات ولم يمنعه طريقاً يوصل إلى خير ديني، ولا دنيوي، فتخلفه عن هذه الأمور يوجب أن يكون هو الملووم عليها المذموم على تركها ١.

٥٢ - الظاهر ٢:

٥٣ - العدل ٣:

٥٤ - العزيز: (العزيز- القوي ٤ - المتين ٥ - القدير ٦)

قال رحمه الله تعالى: "هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة فهو تعالى كامل القوة عظيم القدرة شامل العزة {إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً} ٧ ٨".

العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته ٩.

١ توضيح الكافية الشافية (ص ١٣٠ - ١٣١) .

٢ سبق الكلام على هذا الاسم مع اسمه تعالى "الأول" .

٣ سبق الكلام عن هذا الاسم مع اسمه تعالى "الحكم" .

٤ قال الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (هود: ٦٦) .

٥ قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات: ٥٨) .

٦ قال الله تعالى: {وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (المتحنة: ٧) .

٧ يونس (٦٥) .

٨ الحق الواضح المبين (ص ٤٤) وتوضيح الكافية الشافية (ص ١١٩) .

٩ التفسير (٥ / ٦٢٤) .

فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرة فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات فهي كلها مقصورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به، فمن قوته واقتداره أنه خلق السماوات، والأرض، وما بينهما في ستة أيام، وأنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم ثم إليه يرجعون { مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةٍ } ١ { وَهُوَ الَّذِي بَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } ٢ ومن آثار قدرته أنك ترى الأرض هامدة، فإذا أنزل عليها الماء اعتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبين، والكفار الظالمين من أنواع العقوبات وحلول المثالات، وأنه لم يغن عنهم كيدهم، ومكرهم، ولا أموالهم، ولا جنودهم، ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، وما زادوهم غير تنبيب، وخصوصاً في هذه الأوقات فإن هذه القوة الهائلة، والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدره هذه الأمم هي من أقدار الله لهم وتعليمه لهم، ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أن قواهم، وقدرهم ومخترعاتهم لم تغن عنهم شيئاً في صد ما أصابهم من النكبات، والعقوبات المهلكة مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكن أمر الله غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي، والسفلي.

١ لقمان (٢٨) .

٢ الروم (٢٧) .

ومن تمام عزته وقدرته وشمولهما أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعتهم ومعاصيهم، وهي أيضاً أفعالهم، فهي تضاف إلى الله خلقاً وتقديراً وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة على الحقيقة ولا منافاة بين الأمرين، فإن الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق السبب التام للخبث قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ١.

ومن آثار قدرته ما ذكره في كتابه من نصره أوليائه على قلة عددهم وعددهم على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العدد، والعدة، قال تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ} ٢.

ومن آثار قدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار، وأهل الجنة من أنواع العقاب، وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع، ولا يتناهى "٣".

العظيم، العفو، الغني، الفتح

٥٥ - العظيم: (العظيم ٤ - الكبير)

قال رحمه الله: "العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم" ٦.

والله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثني على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده.

١ الصافات (٩٦) .

٢ البقرة (٢٤٩) .

٣ الحق الواضح البين (ص ٤٤ - ٤٥ - ٤٦) وانظر أيضاً: التفسير (١/ ٣٥٦ و ٥/ ٥٦٣) .

٤ ودليل هذا الاسم قال الله تعالى: {وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (البقرة: ٢٥٥) .

٥ ودليل هذا الاسم قال الله تعالى: {ذَلِكُمْ بَأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} (غافر: ١٢) .

٦ التفسير (١/ ٣١٥) .

واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسع، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس ١ وغيره ٢ وقال تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بَيْنَهُ} ٣.

وقال: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} ٤.

وقال تعالى وهو العلي العظيم: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ} ٥ الآية.

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذبتة" ٦ فله تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبتة، والذل له، والإنكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه أن يتقى حق ثقاته فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى،

١ أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢ / ٤٤٥) وأورده السيوطي في الدر (٧ / ٢٤٨) وعزاه إلى عبد ابن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

٢ روى ذلك عن أبي ذر رضي الله عنه. انظر: كتاب العظمة (٢ / ٦٣٥ و ٦٣٦).

٣ الزمر (٦٧).

٤ فاطر (٤١).

٥ الشورى (٥٠).

٦ أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٢٣) كتاب البر والصلة والآداب باب ماجاء في الكبر.

ويشكر فلا يكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ
شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} ١ و {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} ٢ ومن
تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه ٣.

٥٦ - العفو: (العفو - الغفور - الغفار)

قال رحمه الله تعالى: "العفو الغفور الغفار: الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران، والصفح
عن عباده موصوفاً."

كل أحد مضطر إلى عفو، ومغفرته كما هو مضطر إلى رحمته، وكرمه وقد وعد بالمغفرة، والعفو لمن أتى
بأسبابها قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} ٧ ٨.

٥٧ - العلي ٩:

٥٨ - العليم ١٠:

١ الحج (٣٢) .

٢ الحج (٣٠) .

٣ الحق الواضح المبين (ص ٢٧ - ٢٨) وانظر: الكافية الشافية (ص ١١٧) .

٤ قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو غَفُورٌ} (الحج: ٦٠) .

٥ سبق زيادة بيان لمعنى هذا الاسم مع اسمه تعالى "الحليم" .

٦ سيأتي إن شاء الله زيادة إيضاح على هذه الأسماء مع اسمه تعالى: الغفور.

٧ طه (٨٢) .

٨ التفسير (٥/ ٦٢٣) .

٩ سبق الكلام على هذا الاسم مع اسمه عز وجل "الأعلى" .

١٠ سبق الكلام على هذا الاسم مع اسمه تعالى "الخبير" .

٥٩ - ٦٠ - الغفار: (الغفور)

قال رحمه الله تعالى: "الغفور الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب على كل من يتوب ففي الحديث: "إن الله يقول يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة" ٠٢"

وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} ٠٣

وقد فتح الله الأسباب لنيل مغفرته بالتوبة، والاستغفار، والإيمان، والعمل الصالح، والإحسان إلى عباد الله، والعفو عنهم، وقوة الطمع في فضل الله، وحسن الظن بالله، وغير ذلك مما جعله الله مقرباً لمغفرته "٠٤"

٦١ - ٦٢ - الغني المغني: ٥

قال رحمه الله تعالى: قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} ٠٦

فهو الغني بذاته، الذي له الغنى المطلق، من جميع الوجوه، والاعتبارات لكامله، وكال صفاته. فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً،

١ سبق زيادة إيضاح لهذين الاسمين مع اسمه تعالى "العفو" .

٢ أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٤٧ / ٥) بنحوه، والترمذي في سننه (٥٤٨ / ٥) كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار، وابن ماجه (٢ / ١٢٥٥) كتاب الآداب باب فضل العمل، والدارمي (٢ / ٢٣٠) كتاب الرقاق باب إذا تقرب العبد إلى الله عن أنس، وقال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه. انظر: السلسلة الصحيحة (١ / ٢٠٠) .

٣ النجم (٣٢) .

٤ الحق الواضح المبين (ص ٧٣، ٧٤) .

٥ ودليل هذا الاسم قال الله تعالى: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} (الضحى: ٨) .

٦ فاطر (١٥) .

لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقاً قادراً رازقاً محسناً فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه.

فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة المغني بجميع خلقه غني عاماً، والمغني لخواص خلقه مما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية ١.

ومن كمال غناه وكرمه أنه يأمر عباده بدعائه، ويعددهم بإجابة دعواتهم، وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه، وما لم يسألوه، ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأله وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرة، ومن كمال غناه، وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من النعيم، واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحباً ولا ولداً ولا شريكاً في الملك، ولا ولياً من الدن، وهو الغني الذي كل بنوعته، وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته ٢.

٦٣ - الفتح ٣:

قال رحمه الله تعالى: "الفتح: الذي يحكم بين عباده، بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفة، ومحبتة، والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة،

١ التفسير (٥ / ٦٢٩) .

٢ الحق الواضح المبين (ص ٤٧ - ٤٨) .

٣ ودليل هذا الاسم قال الله تعالى: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} (سبأ: ٢٦) .

وسبب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة ١.

وفتحه تعالى قسمان:

أحدهما: فتحه بحكمه الديني، وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتح بحكمه القدري.

ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على السنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم، وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفهم وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء واتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة، وحكمه بين الخلائق حين يوفى كل عامل ما عمله. وأما فتحه القدري فهو ما يقدره على عباده من خير، وشر، ونفع، وضر، وعطاء، ومنع، قال تعالى: { مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ٢.

فالرب تعالى هو الفتح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضلته وعدله ٣.

الفعال لما يريد، القابض، القريب، القدوس، القدير، القهار

٦٤ - الفعال لما يريد ٤:

قال رحمه الله تعالى: "الفعال لما يريد هذا من كمال قوته، ونفوذ مشيئته،"

١ التفسير (٥ / ٦٢٦) .

٢ فاطر (٢) .

٣ الحق الواضح المبين (ص ٨٤) .

٤ لم أقف على دليل يدل على اسمية الله تعالى، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد (ص ٦٤٤) : "ولا يصح تسمية الله تعالى بالفعال والفاعل والمخرج ... مع أنها لم ترد في شيء من الأحاديث" أ. هـ.

وقدرته، أن كل أمر يريدُه يفعلُه بلا ممانع، ولا معارض.

وليس له ظهير، ولا عوين على أي أمر يكون، بل إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون.

ومع أنه الفعال لما يريد فإنادته تابعة لحكمته، وحمده، فهو موصوف بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة، وموصوف بشمول الحكمة لكل مافعله ويفعله ١.

وليس أحد فعال لما يريد إلا الله "٣".

٦٥ - القابض ٣: (القابض الباسط)

٦٦ - القريب:

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "القريب أي: هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:"

قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، واحاطته وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة.

وهو المذكور في قوله تعالى: {وَأَسْتَجِدُّ وَأَقْتَرِبُ} ٤ وفي قوله: {إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} ٥ وفي قوله {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} ٦ وهذا النوع قرب يقتضي الطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم،

١ التفسير (٥ / ٦٢٩) .

٢ التفسير (٧ / ٦٠٥) .

٣ سبق الكلام على هذا الاسم مع اسمه تعالى "الباسط" .

٤ العلق (١٩) .

٥ هود (٦١) .

٦ البقرة (١٨٦) .

وتحقيقه لمراداتهم ولهذا يقرن باسمه "القريب" اسمه "المجيب" وهذا القرب قربه لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطف بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعابدين "١".

٦٧ - القدوس ٢:

٦٨ - القدير ٣:

قال رحمه الله تعالى: "القدير: كامل القدرة بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، بقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويمجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد" ٤.

٦٩ - القهار ٥:

قال رحمه الله تعالى: "القهار: لجميع العالم العلوي، والسفلي، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلك لعزته وقوته، وكمال اقتداره ٦".

وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات أو دانت لقدرته، ومشيتته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي، فلا يحدث حادث،

١ الحق الواضح المبين (٦٤٠) والتفسير (١/ ٢٢٤ و ٣/ ٤٣٧ و ٥/ ٦٣٠).

٢ سبق الكلام على هذا الاسم مع اسمه تعالى "السلام".

٣ قال الله تعالى: {وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (المتحنة: ٧).

وسبق زيادة إيضاح لهذا الاسم مع اسمه تعالى "العزیز".

٤ التفسير (٥/ ٦٢٤ و ٦٢٥).

٥ قال الله تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد: ١٦).

٦ التفسير (٥/ ٦٢٤ و ٦/ ٤٤٨).

ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضرراً، ولا خيراً، ولا شراً ثم إن قهره مستلزم لحياته وعزته وقدرته، فلا يتم قهره للخليفة إلا باتمام حياته، وقوة عزته، واقتداره "١".

القوي، القيوم، الكافي، الكبير، الكريم، اللطيف

٧٠ - القوي ٢:

٧١ - القيوم ٣:

٧٢ - الكافي ٤:

قال رحمه تعالى: "الكافي عباده جميع ما يحتاجون ويضطرون إليه. الكافي كفاية خاصة من آمن به وتوكل عليه واستمد منه حوائج دينه ودنياه" ٥.

٧٣ - الكبير ٦:

قال رحمه الله تعالى: "الكبير ٧: الذي له الكبرياء في ذاته، وصفاته وله الكبرياء في قلوب أهل السماء، والأرض" ٨.

١ الحق الواضح المبين (ص ٧٦) وتوضيح الكافية (ص ١٢٦) .

٢ سبق الكلام على هذا الاسم مع اسمه تعالى "العزیز".

٣ سبق الكلام على هذا الاسم مع اسمه تعالى "الحي".

٤ لم أقف على نص يدل على تسمية الله تعالى بالكافي.

٥ التفسير (٥ / ٦٣١) .

٦ قال الله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} (الرعد: ٩) .

٧ سبق زيادة بيان لهذا الاسم مع اسمه تعالى "الجليل".

٨ التفسير (٦ / ١٧١ و ٥ / ٦٢٢) .

٧٤ - الكريم ١:

قال رحمه الله تعالى: "الكريم ٢: كثير الخير يعم به الشاكر، والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها" ٣.

٧٥ - اللطيف ٤:

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "ومن أسمائه الحسنی" اللطيف": الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا، والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأراضى من خفايا البذور ولطف بأوليائه، وأصفيائه، فيسرههم لليسرى وجنبهم العسرى، وسهل لهم كل طريق يوصل إلى مرضاته وكرامته وحفظهم من كل سبب ووسيلة توصل إلى سخطه، من طرق يشعرون بها، ومن طرق لا يشعرون بها، وقدر عليهم أموراً يكرهونها لينيلهم ما يحبون، فلطف بهم في أنفسهم فأجراهم على عوائده الجميلة، وصنائه الكريمة، ولطف لهم في أمور خارجة عنهم لهم فيها كل خير وصلاح ونجاح، فاللطيف متقارب لمعاني الخير، الرؤوف، الكريم ٥."

ومن لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه ويرقيه إلى المنازل العالية فييسره لليسرى، ويجنبه العسرى، ويجري عليه من أصناف المحن التي يكرهها وتشق عليه وهي عين صلاحه، والطريق إلى سعادته، كما أمتحن الأنبياء بأذى قومهم وبالجهاد في سبيله وكما ذكر الله عن يوسف عليه السلام وكيف ترقى به الأحوال ولطف الله به وله بما قدره عليه من تلك الأحوال التي حصلت له في عاقبتها حسن العقبي في الدنيا والآخرة. وكما يمتحن أوليائه بما يكرهونه لينيلهم ما يحبون،

١ قال الله تعالى: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (النحل: ٤٠)

٢ سبق زيادة بيان لهذا الاسم مع اسمه تعالى "البر".

٣ التفسير (٥ / ٥٨٠ و ٥ / ٦٢٢).

٤ قال الله تعالى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام: ١١٣).

٥ توضيح الكافية الشافية (ص ١٢٣) والتفسير (٥ / ٦٢٥).

وكم لله من لطف، وكرم لا تدركه الأفهام ولا نتصوره الأوهام، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية ورياسة أو سبب من الأسباب المحبوبة فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمة به لئلا تضره في دينه، فيظل العبد حزينا من جهله وعدم معرفته بربه، ولو علم ما دخر له في الغيب وأريد إصلاحه حمد الله وشكره على ذلك، فإن الله بعباده رؤوف رحيم، لطيف بأوليائه.

وفي الدعاء المأثور: "اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب" ١ اللهم الطف بنا في قضائك وبارك لنا في قدرتك حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت ٢.

واعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة بل هو رحمة خاصة فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف فإذا قال العبد: يا لطيف الطف بي أو لي وأسألك لطفك فعناه تولني ولاية خاصة بها تصلح أحوالي الظاهرة، والباطنة وبها تندفع عني جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية.

فالأمور الداخلية لطف بالعبد.

والأمور الخارجية لطف للعبد فإذا يسر الله عبده وسهل طريق الخير وأعانته عليه فقد لطف به وإذا قيس الله له أسباباً خارجية غير داخلية تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له ولهذا لما تنقلت بيوسف عليه السلام تلك الأحوال، وتطورت به الأطوار من رؤياه، وحسد إخوته له، وسعيهم في إبعاده جداً، واختصامهم بأيهم ثم محنته بالنسوة ثم بالسجن ثم بالخروج منه بسبب رؤيا الملك العظيمة، وانفراده بتعبيرها، وتبوءه من الأرض حيث يشاء،

١ أخرجه الترمذي (٥/٥٢٣) كتاب الدعوات، وقال هذا حديث حسن غريب، وقال عبد القادر الأرئوط وحسنه الترمذي وهو كما قال. انظر: جامع الأصول (٥/٣٤١).

وضعه الألباني كما في ضعيف الجامع (ص ٤٥٣ و ٤٥٤).

٢ الحق الواضح المبين (ص ٦١، ٦٢).

وحصول ما حصل على أيه من الابتلاء، والامتحان ثم حصل بعد ذلك الاجتماع السار وازالة
الاكدار وصلاح حالة الجميع والاجتباء العظيم ليوسف عرف عليه السلام أن هذه الأشياء وغيرها
لطف لطف الله لهم به فاعترف بهذه النعمة فقال: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ١
أي لطفه تعالى خاص لمن يشاء من عباده ممن يعلمه تعالى محلا لذلك وأهلاً له فلا يضعه إلا في محله.
الله أعلم حيث يضع فضله فإذا رأيت الله تعالى قد يسر العبد لليسرى، وسهل له طريق الخير، وذلل له
صعابه، وفتح له أبوابه، ونهج له طرقه، ومهد له أسبابه، وجنبه العسرى فقد لطف به.

ومن لطفه بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بلطفه فيخرجهم من الظلمات إلى النور من ظلمات الجهل،
والكفر، والبدع، والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعة، ومن لطفه أنه يرحمهم من طاعة أنفسهم
الأمارة بالسوء التي هذا طبعها ودينها فيوقفهم لنهي النفس عن الهوى ويصرف عنهم السوء والفحشاء
فتوجد أسباب الفتنة، وجوازب المعاصي وشهوات الغي فيرسل الله عليها برهان لطفه ونور إيمانهم الذي
منَّ به عليهم فيدعونها مطمئين لذلك منشرحة لتركها صدورهم.

ومن لطفه بعباده أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مراداتهم فقد يريدون شيئاً وغيره
أصلح فيقدر لهم الأصلح وإن كرهوه لطفاً بهم، وبراً،

وَإِحْسَانًا {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} ١ {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} ٢.

ومن لطفه بهم أنه يقدر عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن، والإبتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم، ولطفًا، وسوقًا إلى كمالهم، وكإل نعيمهم {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ٣.

ومن لطف لطفه بعبده إذ أهله للراتب العالية، والمنازل السامية التي لا تدرك بالأسباب العظام التي لا يدركها إلا أرباب الهمم العالية، والعزائم السامية أن يقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أهل لها ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى ولتتمرن نفسه ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - في ابتداء أمرهم رعاية الغنم ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم. وكذلك يذيق عبده حلاوة بعض الطاعات فينجذب ويرغب ويصير له ملكة قوية بعد ذلك على طاعات أجل منها وأعلى ولم تكن تحصل بتلك الإرادة السابقة حتى وصل إلى هذه الإرادة والرغبة التامة.

١ الشورى (١٩) .

٢ الشورى (٢٧) .

٣ البقرة (٢١٦) .

ومن لطفه بعبده أن يقدر له أن يتربى في ولاية أهل الصلاح، والعلم، والإيمان وبين أهل الخير ليكتسب من أدبهم، وتأديبهم ولينشأ على صلاحهم وإصلاحهم كما أمتن الله على مريم في قوله تعالى: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا إِلَى آخِرِ قَصَّتْهَا وَمِنْ ذَلِكَ إِذَا نَشَأَ بَيْنَ أَبْوَيْنِ صَالِحِينَ وَأَقْرَابِ أَتْقِيَاءِ أَوْ فِي بَلَدِ صِلَاحٍ أَوْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِمُقَارَنَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَصَحْبَتِهِمْ أَوْ لِتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ لُطْفِهِ بَعْبُدَهُ فَإِنَّ صِلَاحَ الْعَبْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى أَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَكْثَرِهَا وَأَعْظَمِهَا نَفْعًا هَذِهِ الْحَالَةُ. وَمِنْ ذَلِكَ إِذَا نَشَأَ الْعَبْدُ فِي بَلَدِ أَهْلِهِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ هَذَا لُطْفٌ لَهُ وَكَذَلِكَ إِذَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ مَشَايخُهُ الَّذِينَ يَسْتَفِيدُ مِنْهُمْ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتُ أَهْلُ سُنَّةٍ وَتَقِيٍّ فَإِنَّ هَذَا مِنَ اللَّطْفِ الرَّبَّانِيِّ وَلَا يَخْفَى لُطْفَ الْبَارِيِّ فِي وُجُودِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَثْنَاءِ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَبْيِينِ اللَّهِ بِهِ وَبِتَلَامُذَتِهِ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالْعِلْمِ الْغَزِيرِ وَجِهَادِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرِ ثُمَّ انْتِشَارِ كِتَابِهِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنَ لُطْفِ اللَّهِ لِمَنْ انْتَفَعَ بِهَا وَأَنَّهُ يَتَوَقَّفُ خَيْرٌ كَثِيرٌ عَلَى وُجُودِهَا فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ وَالْفَضْلُ.

ومن لطف الله بعبده أن يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة يحصل به المقصود ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم والعمل بل يعينه على ذلك ويفرغه ويريح خاطره وأعضائه ولهذا من لطف الله تعالى لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته فيعلم الله تعالى أنها تضره وتصدده عما ينفعه فيحول بينه وبينها فيظل العبد كارهاً ولم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع وصرف عنه الأمر الضار ولهذا كان الرضى بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل.

ومن لطف الله بعبده إذا قدر له طاعة جليلة لا تتال إلا بأعوان أن يقدر له أعواناً عليها ومساعدين على حملها قال موسى عليه السلام: **وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا** ٠١ وكذلك امتن على عيسى بقوله: **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** ٠٢

وامتن على سيد الخلق في قوله **{هُوَ الَّذِي آتَىكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}** ٣ وهذا لطف لعبده خارج عن قدرته ومن هذا لطف الله بالهادين إذا قيض الله من يهتدي بهداهم ويقبل إرشادهم فتتضاعف بذلك الخيرات والأجور التي لا يدركها العبد بمجرد فعله بل هي مشروطة بأمر خارجي.

ومن لطف الله بعبده أن يعطي عبده من الأولاد، والأموال، والأزواج ما به تقر عينه في الدنيا، ويحصل له السرور، ثم يتبليه ببعض ذلك ويأخذه، ويعوضه عليه الأجر العظيم إذا صبر واحتسب فنعمة الله عليه بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليه في وجوده وقضاء مجرد وطره الدنيوي منه وهذا أيضاً خير وأجر خارج عن أحوال العبد بنفسه بل هو لطف من الله له قيض له أسباباً أعاضه عليها الثواب الجزيل والأجر الجميل. ومن لطف الله بعبده أن يتبليه ببعض المصائب فيوفقه للقيام بوظيفة الصبر فيها فينبئه درجات عالية لا يدركها بعمله وقد يشدد عليه الابتلاء بذلك كما فعل بأيوب عليه السلام ويوجد في قلبه حلاوة روح الرجاء وتأميل الرحمة وكشف الضر فيخف ألمه وتنشط نفسه. ولهذا من لطف الله بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر تخفت مصائبهم وهان ما يلقون من المشاق في حصول مرضاته.

١ طه (٣٠) .

٢ المائدة (١١١) .

٣ الأنفال (٦٢) .

ومن لطف الله بعبده المؤمن الضعيف أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه وتتنقص إيقانه. كما أن من لطفه بالمؤمن القوي تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ويعينه عليها ويحملها عنه ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجره فسبحان اللطيف في ابتلائه وعافيته وعطائه ومنعه.

ومن لطف الله بعبده أن يسعى لكمال نفسه مع أقرب طريق يوصله إلى ذلك مع وجود غيرها من الطرق التي تبعد عليه فييسر عليه التعلم من كتاب أو معلم يكون حصول المقصود به أقرب وأسهل وكذلك ييسره لعبادة يفعلها بحالة اليسر والسهولة وعدم التعويق عن غيرها مما ينفعه فهذا من اللطف.

ومن لطف الله بعبده قدر الواردات الكثيرة والأشغال المتنوعة والتدبيرات والمتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قسمت على أمة من الناس لعجزت قواهم عليها أن يمن عليه بخلق واسع وصدر متسع وقلب منشرح بحيث يعطي كل فرد من أفرادها نظراً ثاقباً وتدبيراً تاماً وهو غير مكترث ولا منزع لكثرتها وتفاوتها بل قد أعانه الله تعالى عليها ولطف به فيها ولطف له في تسهيل أسبابها وطرقها وإذا أردت أن تعرف هذا الأمر فانظر إلى حالة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله بصلاح الدارين وحصول السعادتين وبعثه مكماً لنفسه ومكماً لأمة عظيمة هي خير الأمم ومع هذا مكنته الله ببعض عمره الشريف في نحو ثلث عمره أن يقوم بأمر الله كله على كثرتة وتنوعه وأن يقيم لأمتة جميع دينهم ويعلمهم جميع أصوله وفروعه ويخرج الله به أمة كبيرة من الظلمات إلى النور ويحصل به من المصالح والمنافع والخير والسعادة للخاص والعام مالا تقوم به أمة من الخلق.

ومن لطف الله تعالى بعبده أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سبباً لرحمته فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع والابتهال إلى ربه وازدراء نفسه واحتقارها وزوال العجب والكبر من قلبه ما هو خير له من كثير من الطاعات.

ومن لطفه بعبده الحبيب عنده إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة واسترسلت في ذلك أن ينقصها عليه ويكدرها فلا يكاد يتناول منها شيئاً إلا مقروناً بالمكدرات محشواً بالغصص لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يلذذ له التقربات ويحلي له الطاعات ليميل إليها كل الميل.

ومن لطيف لطف الله بعبده أن يأجره على أعمال لم يعملها بل عزم عليها فيعزم على قربة من القرب ثم تتحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها فيحصل له أجرها فانظر كيف لطف الله به فأوقعها في قلبه وأدارها في ضميره وقد علم تعالى أنه لا يفعلها سوا لبره لعبده وإحسانه بكل طريق.

وألطف من ذلك أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها هي أنفع له منها فيدع العبد الطاعة التي ترضى ربه لطاعة أخرى هي أرضى الله منها فتحصل له المفعولة بالفعل والمعزوم عليها بالنية وإذا كان من يهاجر إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل حصول مقصوده قد وقع أجره على الله مع أن قطع الموت بغير اختياره فكيف بمن قطعت عليه نيته الفاضلة طاعة قد عزم على فعلها وربما ادار الله في ضمير عبده عدة طاعات كل طاعة لو انفردت لفعلها العبد لكامل رغبته ولا يمكن فعل شيء منها إلا بتفويت الأخرى فيوفقه للموازنة بينها وإيثار أفضلها فعلا مع رجاء حصولها جميعها عزماً ونية.

وألطف من هذا أن يقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية ويوفر له دواعيها وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسباب فعلها من أكبر الطاعات.

كما لطف بيوسف عليه السلام في مراودة المرأة. وأحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين ١.

ومن لطف الله بعبده أن يقدر خيراً وإحساناً من عبده ويجريه على يد عبده الآخر ويجعله طريقاً إلى وصوله إلى المستحق فيثيب الله الأول والآخر. ومن لطف الله بعبده أن يجري بشيء من ماله شيئاً من النفع وخيراً لغيره فيثيبه من حيث لا يحتسب فمن غرس غرساً أو زرع زرعاً فاصابت منه روح من الأرواح المحترمة شيئاً آجر الله صاحبه وهو لا يدري خصوصاً إذا كانت عنده نية حسنة وعقد مع ربه عقداً في أنه مهما ترتب على ماله شيء من النفع فاسألك يارب أن تأجرني وتجعله قربة لي عندك، وكذلك لو كان له بهائم انتفع بدرها وركوبها والحمل عليها، أو مساكن انتفع بسكاها ولو شيئاً قليلاً، أو ماعون ونحوه انتفع به، أو عين شرب منها، وغير ذلك كتآب انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قرئ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

ومن لطف الله بعبده أن يفتح له باباً من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلّة رغبته فيه وإنما هو غفلة منه وذهول عن ذلك الطريق فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه والملفت إليه ففرح بذلك وعرف أنها من أطف سيدة وطرقه التي قبض وصولها إليه فصرف لها ضميره ووجه إليها فكره وأدرك منها ما شاء الله "٢".

١ هذا بمعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٢٠ / ٨) كتآب الحدود باب فضل من ترك الفواحش، ومسلم (٧١٥ / ٢) كتآب الدعاء باب فضل اخفاء الصدقة.

٢ المواهب الربانية من الآيات القرآن (ص ٧١ - ٧٦) .

٣ قال الله تعالى {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (الفاتحة: ٤) .

٤ قال الله تعالى {فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} (المؤمنون: ١١٦) .